نَـظَـمَ الأمـيـرُ لَـهَـا قِـلَادَةَ لُـؤْلُـؤٍ
كَـفِـعَـالِـهِ وَكَـلَامِـهِ فـي الـمَـشْـهَـدِ[١]
كَـالْـكَـأسِ بَـاشَـرَهَـا الـمِـزَاجُ فَـأَبْـرَزَتْ
زَبَـداً يَـدُورُ عَـلَـى شَـرَابٍ أسْـوَدِ[٢]

رواعي الشيب

وقال فيها ارتجالاً أيضاً:

[الطويل]

وَسَـوْدَاءَ مَـنْـظُـومٍ عَـلَـيْـهَـا لآلِـئٌ
لَـهَـا صُـورَةُ الْـبِـطِّـيـخِ وَهْـيَ مِـنَ الـنَّـدِّ[٣]
كَـأَنَّ بَـقَـايَـا عَـنْـبَـرٍ فَـوْقَ رَأْسِـهَـا
طُلُوعُ رَوَاعِي الشَّيْبِ في الشَّعَرِ الْجَعْدِ[٤]

ليس بمنكر سبق الجياد

فقال: أوفي وقتك قلت هذا؟ فقال:

[الوافر]

أَتُـنْـكِـرُ مَـا نَـطَـقْـتُ بِـهِ بَـدِيـهـاً،
وَلَـيْـسَ بِـمُـنْـكَـرٍ سَـبْـقُ الْـجَـوَادِ[٥]

---

(١) لقد أحاط الأمير البنيّة بعمل فنّي ينمّ عن ذوق رفيع وإحساس رفيع بقيمة الفن الراقي، فلقد طوّق عنقها بقلادة لؤلؤ نظمت حبّاتها بعناية فائقة كفعل الأمير وكلامه المنمق الذي يقع في الأذن موقع الموسيقى التي تنساب معها الأحاسيس والوجدان الرقيق.

(٢) المزاج: الخلط. الزبد: ما يطفو على سطح الكأس من زبد الخمرة. يصف الشاعر كأس الخمرة، فقد علا سطحها زبد أبيض غطّى ما في الكأس من خمرة لونها أسود، فإذا بالألوان تؤلّف عملاً فنيًّا بديعاً.

(٣) و (٤) الرواعي: الواحدة راعية: أول طلائع الشعر شيباً. يصف الشاعر البطيخة السوداء التي حُلّيت باللآلئ، فبدا ما عليها من العنبر كأنه أول طلائع الشيب يغزوها فيحلّ محل السواد اللون البغيض في هذه الحالة، يتّضح أن الشاعر كان يكره الشيب لما يُوحيه من عجز واقتراب الآجال.

(٥) يُخاطب الشاعر ممدوحه مسائلاً إيّاه عن موهبته الشعرية وسرعة بديهته، فباستطاعته =

أُرَاكِضُ مُعْوِصَاتِ الشِّعْرِ قَسْراً
فَأَقْتُلُهَا وَغَيْرِي فِي الطِّرَادِ(١)

الموت أصدق المواعيد

يمدحه أيضاً، ويرثي أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان وقد توفي في حمص سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة (٩٤٩م):

[المنسرح]

مَا سَدِكَتْ عِلَّةٌ بِمَوْرُودِ
أَكْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدِ(٢)
يَأْنَفُ مِنْ مِيتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ
حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ(٣)
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ الْمَمَاتَ عَلَى
غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ(٤)

= الإنشاد دون تحضير وإجادة ما يقوله؛ إنه سبق جواد يسبق سواه في مضمار الشعر الجيد المعجز.

(١) أراكض: أطارد. معوصات الشعر: الذي يصعب على الضعفاء من الشعراء الإتيان به. ينوّه الشاعر مفتخراً بما يأتيه من القصيد بسهولة ودون إعمال رأي رغم صعوبة معانيه التي نادراً ما يلتقطها سواه ورغم ما يبذل من جهد فإنه يضيع هباءً، بينما يستطيع المتنبي اصطياد عويص الشعر باقتدار عجيب ويبدع فيه.

(٢) سدك: لزم. المورود: المحموم. يبدأ الشاعر قصيدته بمدح الممدوح مباشرة دون مقدّمات تقليدية، معزّياً إياه بادئاً برثاء عمه تغلب بن داود، لقد حلّت الحمى ولازمت أكرم الرجال، إنها لم تجد أكرم من تغلب بن داود المضياف فنزلت حضرته تتنعم بمكارم أخلاقه، وتستحوذ عليه.

(٣) يأنف: يرفض. أصدق المواعيد: الموت. وكون تغلب بن داود شجاعاً فإنه يرفض موت الضعفاء على فراش الموت كالجبناء، بل إنه كان يتمنّى ميتة الأبطال في ميادين الكفاح.

(٤) السوابح من الخيول: التي تعدو كأنها تسبح لسرعة ركضها. القود: الطوال من الخيول. إن تغلب ابن داود مثال البطل الذي كان يعتلي ظهور الخيول السابحة التي تصول وتجول في ميدان المعركة، لذا يرفض أن يموت ميتة الجبناء والضعفاء.